الصباح الإسلامية
09
العدد 1664 - السنة السادسة
الإثنين 10 ذي القعدة 1434 - الموافق 16 سبتمبر 2013
Monday 16 September 2013 - No.1664 - 6th Year

من وحي القرآن الكريم .. « لاتحزن »

آيات القرآن هي كلام الله عز وجل المعجز الذي لا تنقضي عجائبه وما من يوم يمر على المتأملين في كلام الله الا ويضاء لهم فيه من فيض النور الإلهي الذي يرشد الحائرين ويطمئن قلوب الموحدين ويسعد الأتقياء المحبين، ومن ذلك:

لا تحزن

لا تحزن من كثرة الناعقين في هذا الزمان!!

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين، هم ..كالزبد يعلو صفحة الماء ..وزواله قريب..

وثق أنّ ما كانَ لله سيبقى .. «فأما الزبد فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفع الناسَ فيمكثُ في الأرض ».

قريب مجيب.. سبحانه

قال تبارك اسمه «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان» استوقفتني هذه الآية بين آيات الصيام!!! ما الذي أتى بها هنا؟؟ لابد أن لها حكمة في وجودها هنا!!

ماذا يريد الله عز وجل منّا عندما جاءت هنا!! بهذا اللفظ «قريب أجيب» لم يفصل بين قربه وإجابته إلا سؤالنا ودعاؤنا إياه!! فاين سؤالنا وأين دعاؤنا؟؟ فللصائم دعوة لا ترد.

وفي القنوت ترفع الأكف إلى السماء..

وفي السحر يختلط النشيج والاستغفار والدعاء..

كم لنا من الحاجات؟؟
وكم بنا من الآفات؟؟
وكم من همّ أحاط بنا؟؟
وكم من ذنب أهلكنا؟؟
وكم من دين أثقل عواتقنا؟؟
وكم من قرة عين نرجو صلاحها؟؟
وكم من الأعمال الصالحة نرجو قبولها؟؟
وكم وكم وكم من الحاجات التي لا يقضيها إلا هو!!

فهل سألت حاجتك ممن يقضيها لك؟؟

وهو يخبرك أنه قريب يجيب دعوتك!!

تعوذ بالله من العجز والكسل..

لا تقنطوا من رحمة الله

قال تعالى «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

تلك الآثواب السوداء التي يلبسها أكابر القوم ، قد تسرق بهرجتها الأبصار والقلوب، قد يبدو على تلك الوجوه العابرة فرحة وأنسا والحقيقة عكس ذلك !ليس بالضرورة كل من ارتدى ذاك السواد كان ملاكا!..

ما الجمال والزينة؟ ما السعادة والنشوة؟

هي سوداء كالحة مبهرة وفي ذات الوقت سوداء كالحة موجعة! لمّ السوادُ فحسب؟!.. أكاد أجزمُ انها محاولة فاشلة لكشف ذاك الضرّ الخفي !وسبحانه يخاطبنا مخاطبة شرطية جازمة ! جلّ شانه وتقدّس ذكره:

«وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف لهُ إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير».

وهاهو الشرط والجواب:

«احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظ اللّه تَجِدْهُ أَمَامك تَعَرَّفْ إِلَى اللّه فِي الرَّخَاء يَعْرِفك فِي الشِّدَّة إِذَا سَأَلْت فَاسْأَل اللّه وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ فَقَدْ جَفَّ الْقَلَم بِمَا هُوَ كَائِن فَلَوْ أَنَّ الْخَلْق كُلّهمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِه اللّه لَك لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْمَلْ لِلّهِ بِالشُّكْرِ وَالْيَقِينِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَه خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْر مَعَ الصَّبْر وَأَنَّ الْفَرَج مَعَ الْكَرْب وَأَنَّ مَعَ الْعُسْر يُسْرًا».

فهلاّ استجبنا ؟!

وبل لمن قرأها ولم يتفكر فيها «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «خلق السماوات والأرض وما فيهما من العجائب واختلاف الليل والنهار بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان، والسفن التي تجري في البحر ولا ترسب، وما أنزل الله من السماء من مطر فيحيي به الأرض بالنبات بعد يبسها ونشر به فيها من كل دابة.

وتقليب الرياح جنوبا وشمالا حارة وباردة و الغيم المسخر المذلل بأمر الله تعالى يسير، كل ما في الآية من صنع الله الذي أحسن صنعه سموات وارض ومطر ونبات والدواب والرياح والغيم.

تراها رأي العين فيزداد التفكر والتأمل فيها، تبارك الله أحسن الخالقين «صفاء» ولا أزال مشدوهة ممن يغث روحهُ العطشى مرارًا بلا كلل ولا ملل بقطرات من الدمع النقي!

وأتساءل أثمّة دموع صادقة وأخرى كاذبة ؟!

وعبدالله ابن عمرو يقول: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار.

فيا الله ما أنصع بياض الصدق في هذه الأحرف.

رباه لا تحرمنا من عين دامعة تذرف ماءها خشية منك وإكبارًا لك ترجوك مغفرةً من لدنك ورحمة.

وتستوقفني الآية «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا من الشاهدين» ومالهم لايؤمنون وربهم أرحمُ الراحمين ؟!

لعلكم تتقون

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» 183.

ما يخفف على المسلم أمر الصيام أنه لم يفرض علينا وحدنا بل كتب على الذين من قبلنا، فلسنا أول من يكلف بهذه العبادة.

وفيه أيضا دعوة للمنافسة ليكون أداء المسلمين للصيام أكمل.

«أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» 184 أيامًا معدودات : فمن باب التيسير أنها ليست كثيرة : بل هي أيام معدودات.

فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر : فالشارع الحكيم يقبل أعذار الناس قبل أن يوجه إليهم التكليف.

لله در هذا المرءُ الذي يشرقُ في كل ركن من هذه الحياة بروح واحدة ووجه واحد ما كان للشكل والمضمون أن يأخذ منحىً آخرَ سلبيًا!

لله دره إذ يرتلُ آيات الهدى والنور والإيمان بقلبه وعقله فكان له الأمان الجسدي والروحي.

وأيّ هدية تلك التي يهديها ربنا لصاحب الإيمان!

«الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

الصالحات القانتات .. وصورة من السيرة

في زحمة الحياة واشتداد صخبها وتوالي حوادثها وكرّ أيامها ينسى الإنسان كثيرا ونتابع حلقات الإنسان لتغل العنق بأغلال الأرض ويلتصق بها مؤثرا إياها بل ربما يجعلها الآخرة والأولى والمبدأ والمنتهى، من هنا جاءت أهمية الذكرى لتنقشع غمامات الغفلة عن عين البصيرة ومدرك الحقيقة، وللسلف رضوان الله عليهم وهم القدوة حالات تنبئ بآثار اليقظة، ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه». والدقل هو رديء التمر.

ومر أبو هريرة رضي الله عنه بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير.

وتتكرر هذه الحالات في صور شتى ومواقف مختلفة وللذكرى بريقها وبرقها، بها تأمل وتتأمل، ثم أليس من حق الروح أن تحلق في سماء الوفاء؟!

إذا أردت ذلك فما عليك إلا أن تصاحبنا في لمحات من يقظة القلب وبصيرة العقل وحياة الروح مع هذا الحديث قالت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «لما أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكرٌ لك أمرا، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك» قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها - إلى قوله - أجرا عظيما»، قالت : فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثلما فعلت». أخرجه البخاري ومسلم.

اختار النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزا عن حياة المتاع وإنما استعلاء بنفس توقن أن الآخرة خير لها من الأولى وأنها الأبقى، جاءه جبريل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض فعف عنها وتركها وآثر الآخرة عليها، كان ينفق ولا يخاف فقرا، يعطي عطاء اليقين وهو أجود بالخير من الريح المرسلة وكان يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي بنفسه وآل بيته أن ينافسوا أحدا في دينه ولو بتشرف نفس لأن ربه سبحانه علمه وأدبه ونهاه بقوله سبحانه: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى». فالحياة الدنيا وما فيها من متاع وما يحوطها من زخارف ووشى زهرة والزهرة ستذبل بعد حين بعد الابتلاء بها والمحنة بروائها وروائها، أما رزق الله سبحانه له فهو نعمة بلا فتنة.

قال في الظلال: دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية وبالصلة بالله والرضى به. فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا، وتبقى دائما تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار...ولكن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن نساء من البشر. لهن مشاعر البشر، وللبشر حاجات وزينة من مال ومتاع ونفقة اجتمعن يسألنه صلى الله عليه وسلم النفقة فأصابه من الأسى ما أصابه حتى احتجب صلى الله عليه وسلم عن أصحابه.

وأقبل أبو بكر - رضي الله عنه - يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بباه جلوس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر - رضي الله عنه - فاستأذن فلم يؤذن له. ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر: لأكلمنّ النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك. فقال يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة فوجأت عنقها!

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: «هن حولي يسألنني النفقة»! فقام أبو بكر - رضي الله عنه - إلى عائشة، وقام عمر - رضي الله عنه - إلى حفصة، كلاهما يقولان: «تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: والله ما نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده، ونزلت آية التخيير.

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبيبته عائشة - رضي الله عنها - فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة وقالت: أسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فأجابها صلى الله عليه وسلم: لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها.

انطلاقة من هواتف الأرض وتحررا، كلهن رضي الله عنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

ملامح من عواطف الحب ووومضات الإيثار في اليقين بما عند الله للصالحات القانتات، «ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما».

صورة من السيرة فهل يا ترى تسافر أرواحنا لتعايش شيئا من جمالها ولملم القلوب حولها، وأخيرا: الصبر لله غناء وبالله تعالى بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء، فاصبروا في الله، وصابروا في الله، ورابطوا مع الله.

مداخل إبليس في قلب الإنسان

اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما، فيتمكن ويستوطن، ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا، كما قال تعالى: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.. (الناس: 4)، وهو الذي إذا ذكر الله خنس، وإذا وقعت الغفلة انبسط، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله -تعالى، فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلم: أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن، ويملكه ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أنا ننشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصًا على شيء؛ أعماه حرصه وأصمه، وغطى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان. وكذلك إذا كان حسودًا، فيجد الشيطان حينئذ الفرصة، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكرًا أو فاحشا.

ومن أبوابه العظيمة: الغضب، والشهوة، والحدة، فإن الغضب غول العقل، وإذا ضعف جند العقل؛ هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان. وقد رُوي أن إبليس يقول: إذا كان العبد حديدًا، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

ومن أبوابه: حب التزيين في المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك.

ومن أبوابه: الشبع، فإنه يقوي الشهوة، ويشغل الطاعة.

ومنها: الطمع في الناس، فإن من طمع في شخص، بالغ في الثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه، ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك التثبت.

ومن أبوابه: حب المال، ومتى تمكن من القلب: أفسده، وحمله على طلب المال من غير وجهه، وأخرجه إلى البخل، وخوّفه الفقر، فمنع الحقوق اللازمة.

ومن أبوابه: حمل العوام على التعصب في المذاهب، دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه أيضا: حمل العوام على التفكير في ذات الله تعالى، وصفاته، وفي أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه، احتقره وأطلق فيه لسانه، ورأى نفسه خيرًا منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم؛ لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سد مداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وسيأتي الكلام عن هذه الصفات، بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار، فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى، وعمارة القلب بالتقوى.

ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز؛ فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ، وإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع؛ لم يندفع عنك بمجرد الكلام، فكذلك القلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر.